بصمات في تاريخ الكويت

كلام أخير

الشهيد عدنان علي الضامر

الشهيد خالد علي الضامر

تخليد ورعاية

كـــلام أخيـــر

قصة الشهيدين[*]

عدنان علي الضامر
و
خالد علي الضامر

بقلم

إسماعيل فهد إسماعيل

---

[*] تمت الاستعانة بحيثيات الشهيدين من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم، شهداء الكويت: بطولاتهم وتضحياتهم: الجزء الأول - ص٦١ - ٦٧

813 إسماعيل، فهد إسماعيل .
كلام أخير : قصة الشهيدين عدنان وخالد علي الضامر .../ بقلم إسماعيل فهد إسماعيل. - ط 2.- الكويت : مكتب الشهيد، 2013
32ص: 21سم. - (بصمات من تاريخ الكويت)
ردمك : 978-99906-84-25-4
1 - القصة العربية - الكويت 2 - الشهداء 3 -الكويت - تراجم أ- العنوان
ب- السلسلة

ردمك: 978-99906-84-25-4
رقم الإيداع: 493/ 2007

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشـــعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياســـية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشـــهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الـــرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

فـــي مجموعتنا « **بصمات في تاريـخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين علـــى المحتـــل، وإرادة النصر على الغاصـــب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض فعندما تحقـــق النصر وطُـــرد الغزاة حكـــت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم

شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمه أحمد الأمير

ضغـــط بقدمه على دواســـة البنزين فانطلقت الســـيارة. دوي محرك ســـيارته أخذ عليه أســـماعه.. خيل لعدنان أن هناك دويا آخر مغايراً يشاغل أذنيه.

«ماذا هناك؟!»

تســـاؤل خاطف عبر ذهنـــه دون أن يتريث عنـــدهُ... الأضواء الأمامية الكاشفة لســـيارته تخترق حجب الظلام المهيمن على كل شيء... الساعة قاربت الخامسة فجراً.

«لم يبق وقت طويل عن انكشاف نور النهار»

كذلك لم يبق وقت طويل عن بلوغه وجهته..

«معسكر صباح السالم..»

يجـــدر بك - ما دمت مجنداً في جيشـــك الكويتي - أن تلتزم بالواجب.. تصل مقر عملك في الساعة المحددة.

الدوي المغاير عن دوي محرك السيارة يزداد ارتفاعاً..فضول عدنان يشغل عليه حواسه. ينزل زجاج باب سيارته الكائن عنده.. ليهجـــم الدوي بأعلى.. تنبه الى أن العديد من الطائرات تحوم في سماء المنطقة.

«على غير العادة!!»

فكر برهة.

«لابد أن تكون طائرات السلاح الجوي الكويتي !!»

تداعى خياله يتذكر أنباء متناقلة عن حشـود عسكرية للنظام العراقي على الحدود الكويتية الشمالية.

استنتج:

«التهديد أو الوعيد.. وها هو سـلاحنا الجوي يقوم بمناورات أو تدريبات، لغرض إبلاغ الأخر..أننا - هنا - بالمرصاد»

مع اقترابه بسيارته من البوابة الرئيسية لمعسكر صباح السالم كانت أنوار الفجر آخذة بالانتشـار. السماء باقية مزحومة بحركة الطائرات. مد يده إلى مفتاح الأضواء الأمامية لسيارته. أغلقه.

❖ ❖ ❖

الاسم: عدنان علي محمد الضامر.

العمر: تسع عشرة سنة.

المهنـة: موظـف (مسـتجد).. في شـركة النفـط.. مصفاة الأحمدي..قبل أن يلتحق بالجيش الكويتي لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية..

❖ ❖ ❖

لدى اجتيازه بوابة المعسكر تفاجأ عدنان بحال استنفار قصوى تعم أرجاء المعسكر.

«الحرب..الآن!»

فهم من رفاقـه أن جيوش النظام العراقـي اخترقت الحدود

الكويتية الشمالية، وأنها بدأت تجتاح ما تصادفه إمامها.

«الحرب..حقيقة واقعة»

أدرك سبب ازدحام السماء بحركة الطائرات .

«على حين غفلة!!»

غـــدر الأخ بأخيه.. لماذا؟! .. هل هي خلافات حدودية فعلية؟! .. أم أن دوافع أخرى لم يكشـــف النقاب عنها بعد؟! .. هذا الذي يحدث.. لصالح من؟!

الأســـئلة تتوالى في ذهـــن عدنان، ولا من إجابـــات ممكنة أو مقنعـــة. صدرهُ يغلي بغضب محاصر. «الحدث.. بما ســـيتمخض عنه.. الى أين ؟!»

الصباح مازال مبكراً. السماء باقية مزحومة بالطائرات. أنباء الاجتياح ترد تباعاً. الشبان المجندون ممن وفّقوا - وسط الظرف الداهم - لأن يصلوا الى المعسكر.. بضع عشرات.

«واجبك يقتضيك ..»

تولى احد الضباط توزيع المجندين على مجموعتين.

-الأولى.. تتوجه - بالســـرعة القصوى - إلى قصر دســـمان، لإسناد رجال الحرس المدافعين عنه..

عينا الضابط تدوران على وجوه الشبان. استطراد:

- الثانية.. إلى قصر بيان.. للغرض ذاته.

تذكر أضاف:

- تفقدوا سلاحكم وعتادكم!

ختم مغمغماً:

- الله يحفظكم..

الحماس - حدّ الانفعال - يشتعل في صدور المجندين..

«لو أنه الحماس وحده.»

حتى ما قبل ساعة واحدة لم يكن ليطرأ لك - مطلقاً - انك ستخوض - دون سابق علم أو توقع - حرباً ما..

«الحرب كر وفر.. مع الأخذ بميزان التكافؤ ما بين جيشين متحاربين بنظر الاعتبار..»

شاحنتان مخصصتان لنقل الجنود غادرتا المعسكر.. إحداهما اتخذت طريقها نحو قصر دسمان، في حين توجهت الثانية الى قصر بيان.. كان عدنان واحدا من مجنّدي الشاحنة الثانية..

❖ ❖ ❖

الطرق السريعة تضج بالمئات من آليات العدو.. دبابات..

مدرعات..قاطرات مدافع ثقيلة. ناقلات جند.. الوجهة جنوباً

«ما الذي يبغونه بالضبط؟!»

سؤال لم يجد إجابته في حينه.. الصمت المعبأ بالغضب والحقد على الطارئ الدخيل يخيم على الشبان الكويتيين العشرين المزحومين داخل شاحنتهم.

مطلوب من سائقهم - والحالة حرب لا علاقة لها بمبدأ توازن القوى - أن يتحاشى مصادفة أي من آليات العدو المدججة، ريثما بلوغ الهدف.. قصر بيان.

لحظة اقترابهم من جسر التحكم في منطقة الجابرية واجهوا بالعديد من دبابات العدو تبدأ تمركزها في الجوار بهدف الاستعداد لقصف القصر.

- هم حاصروا البوابات!

قال الضابط الذي يتولى قيادة الشبان العشرين. استطرد مستنتجاً:

- سنكون هدفاً سهلاً لنيران مدفعيتهم..

استدرك دون تردد:

- لو بقينا داخل الشاحنة!

السائق - وقد تملكه إحساس من وقع في الفخ - أبطأ من سرعة شاحنته، ملتفتاً إلى الضابط:

- ما العمل؟!

جاءه رد الضابط حاسماً:

- توقف هنا!

قصر بيان في مجال الرؤية القريبة. أسـواره تحاذي الطريق السـريعة. نقّل الضابط نظراته على وجـوه المجندين. قال يهيب بهم:

- نتسلق السور.. ندخل حدائق القصر..

الشـاحنة تتوقف الى جانب الطريق. بابهـا ينفتح.؟ الضابط يشير.

- بسرعة!

تدافع الشـبان نحـو الباب. رأى عدنان إحـدى دبابات العدو تستدير بمدفعها مستهدفة شاحنتهم..

«الزمن حساب ثوان!!»

الشـبان يتراكضون بقامات منحنية نحو سور القصر.. تعالى دوي إطلاق قذيفة مدفع، تبعتها ثانية، ثم ثالثة..

وهو يتسـلق السـور حانت عن عدنـان التفاتة سـريعة نحو الشاحنة. رأى لهب النيران يلتهب نوافذها.

«لو بقينا داخل الشاحنة للحظات أخرى.. «

طرد فكرة الموت احتراقاً من مخيلته. قدماه تلامسان الأعشاب الندية لحديقة القصر.. شاهد رفاقه يتراكضون قاصدين المبنى..

❖ ❖ ❖

الحرب.. سمعت عنها. الحرب شاهدتها من خلال أفلام في السينما، أو من شاشة التلفزيون، الحرب..

«ها أنا أعيشها الآن!»

أيام دراستك الثانوية قرأت عن حرب عالمية أولى نشبت في العقد الثاني من القرن العشرين وشملت الكثير من الأقطار.. راح ضحيتها الملايين من البشر.. بعد عقدين ونيف نشبت حرب عالمية ثانية..نتيجة خلصت لها وقتها: الدول التي بدأت الحرب هي خاسرها الأكبر.. وان للعدوان ثمنه الباهظ.

معلومة رسخت في مخيلتك: الكويت لم تكن طرفاً مشاركاً فعلاً في أي من الحربين الكونيتين.

لكنها - لأسباب يجهلها عدنان - آزرت النظام العراقي في حربه التي دامت ثماني سنوات ضد إيران،

ليجيء رد الجميل بالصورة.

بدأ ضابطهم مهمة توزيعهم على مراكز دفاعية عند مداخل منشأة قصر بيان، في الوقت الذي بدأ فيه العدو قصفه المدفعي مستهدفا القصر.

البعض من دباباته وآلياته تمركز في مواقع خارجية تشرف على الساحة الداخلية للقصر، والبعض الأخر تقدم ليقتحم البوابة الرئيسة الشرقية. للحظة عابرة تداعى ذهن ضابطهم متسائلاً:

«جدوى الدفاع؟!»

المجندون الذين تحت إمرته عشرون. مسلحون ببنادق ذاتية.

«أنى لك التصدي للدبابات بالذاتيات؟!»

أعداد الآليات الزاحفة يفوق العشرين.

«الدفاع.. ليس سوى انتحار مجاني»

ولأنه ولا وقت للتردد صرخ بمجنديه:

- انسحاب!!

الحيرة تأخذ بوجوه المجندين.

«انسحاب.. إلى أين؟!» أنت مطوق من جهاتك كلها.. والانسحاب بالمفهوم العسكري المتعارف عليه.. يعني التقهقر المنتظم، بقصد إعادة تنظيم صفوف دفاعية.

أنت في ظروف.. والانسحاب من مواجهة قطعات عدوة أمامية ينجم عنه الوقوع في براثن قطعات عدوة خلفية.

ضابطهم والشعور بالفخ..قال:

- كل واحد منكم مسئول عن نفسه!

المعنى المضمن:

- «حاولوا النجاة بجلودكم!»

تبادل الشبان نظراتهم بينهم. آليات العدو - بعدما اقتحمت البوابة الشرقية آخذة بالاقتراب.. دوي المحركات، وصرير الجنازير الحديدية العملاقة.

« لو وفقت ببلوغ السور!!»

همسـها عدنان لنفسـه، قبل أن يركض.. الآخرون تراكضوا بالمثل.

❖ ❖ ❖

إحدى آليـات العدو تفتح نيران مدفعها الرشـاش بالاتجاه. أحس عدنـان بأزيز الرصـاص عند إذنيه. أصيـب رفيق له في صدره. توقف عدنان عنده. سـور القصر على مبعدة أمتار.. أشار له رفيقه المصاب..

« تابع طريقك!! «

دماء رفيقه تنزف بغزارة. انحنى عليه، في اللحظة التي اسلم فيها الأخر روحه.

غصة الم يخالطها حقد.

«لماذا؟!»

سـؤال دون إجابة. الرصاص يزن من حوله. قفز نحو السور. البندقية الذاتية التي يتنكبها تعيق تسـلقه للسور. لم تراوده فكرة التخلص منها.

«الوقت الأشد حاجة..»

الأرض الفضـاء خارج السـور.. منازل منطقة بيان السـكنية بمتناول عينيه. رأى رفاقا آخرين يندفعون نحو الحي السكني.

❖ ❖ ❖

وقــع اختيار عدنان على حرش أشــجار ظــل مزروعة خارج ســور احد المنازل. اندس وسطه.الأغصان تلامس وجهه. الرطوبة الخانقة لضحى الثاني من أغســطس تثقل أنفاســه اللاهثة جراء الركض.

« يفترض بي أن أتصرف!!»

راودته فكرة اتخذت صيغة تساؤل مشوب بالتمني:

« لو بلغت بيتي ؟»

زيه العسكري بندقيته..

إنما كيف؟!

السؤال منحى عجز. سيارته تركها داخل معسكر صباح السالم قبل أن يركب الشاحنة التي أقلته بمعية رفاقه.

تطلع من خلال الأغصان. بدا له الجوار خالياً.

«أين اختفى الرفاق الآخرون؟»

الهواء مشبع برائحة الخديعة.

«على حين غرة»

أول ما تبادر الى ذهنه وقتها:

«بندقيتي!»

فكــر هنيهة. ســور لنبات الياســمين بأغصان مشــتبكة قيد خطوات منه. انزل بندقيته من على كتفه. أخفاها وســط أغصان

الحرش. تأكد من الموقع. غمغم في داخله كما لو انه يخاطبها:

«سأعود إليك.. آخذك!»

دوي القذائف والانفجاريات يسمع قادما من ناحية قصر بيان.

«ما الذي يدعوهم للتدمير؟»

سؤال منزوع الإجابة. ليتنبه عدنان . يسمع احدهم يطلق سعلة خافتة غير بعيد عن المكان الذي يختفي فيه. التفت.

❖ ❖ ❖

حرش الاشجار سور المنزل بوابة السور. رجل كويتي كهل يقف في الباب يشير له قائلاً:

- تعال في الداخل!

تردد عدنان لثوان. ثم فمه عن ابتسامة امتنان. أجاب بهامش حيرة:

- اخشى ان اتسبب لكم ..

لم يكمل جملته اكتفى بان لفت أنظار الرجل إلى زيه العسكري

تعال.. يا ولدي .. تعال!

رددها الرجل بدالة التعاطف الأبوي. أحاط المكان بإشارة من

إصبع يده.

استطرد بألم عميق:

- حال البلد..

تــرك جملتــه مفتوحة. صمت لثــلاث ثوان. تابــع وهو يفلت زفرة:

- الله العالم!

اقترب منه عدنان معانياً إحساســاً بالحرج. أفســح له الرجل الكهل طريق المرور الى الداخل ..

أطبق باب السور من ورائهما. كانا وسط حديقة المنزل. سمعه عدنان يقول هادفا لأن يشّد من أزره:

- تذكّر يا ولدي أن الله سبحانه وتعالى بالمرصاد!

استجاب عدنان.غمغم:

- والنعم بالله.

تابع الرجل قائلا بيقين:

- وعلى الباغي تدور الدوائر!

كانا قد بلغا الباب المفضي الى مبنى المنزل .

مــد الرجل يده الى الباب. فتحه. أفســح - للمــرة الثانية - طريق المرور لعدنان

- «حياك - ادخل»

تريث عدنان عنده. قال:

- لن أطيل..

تطلع الى عيني الرجل . تابع:

- أحتاج لإجراء مكالمة هاتفية!

❖ ❖ ❖

الاسم: خالد علي محمد الضامر

العمر: ثمانية عشر عاماً

الأخ الشـقيق لعدنـان. يصغره بعـام واحد. طالب في جامعة الكويت. كلية الهندسة.

❖ ❖ ❖

يقـع منزل العائلة فـي منطقة مشـرف، - ولان المنطقتين - مشـرف وبيان متجاورتان متصلتان.. كان بإمكان أهالي مشـرف سماع أصوات انفجارات القذائف التي استهدفت قصر بيان.

ملازمـة المذياع. اللهاث وراء الاخبار. القلق والجزع وهواجس التوقع يخالطها غضب مغلوب على أمره.»

الحال إلى.. أين؟!

كان خالـد مرابطاً عند المذياع. يحيط بـه كل من عمه وامه. الاخيـرة بعيون دامعـة.؟ ولدها عدنـان غادر المنـزل فجرا الى المعسكر. الحرب مستعرة ما الذي حل بولدها؟

خالد لأكثر من مرة غادر البيت، قام بجولة في الجوار. يتبادل قلقه مع جيرانه. عندما اشتد القصف من ناحية منطقة بيان. صعد الى سطح البيت، آملا في أن يستطلع ما يدور.. ولا جدوى.

- إلهي.. أعده لي سالماً !!

سـمع امه تلهج داعية بصوت يلامس البكاء، ليسمع - من ثم -رنين جرس الهاتف. هرع أليه. رفع السماعة.

- ألو!

فرحه يشيع في وجهه. يهتف محتفياً:

- أين أنت؟!

أمه وعمه يحبسان أنفاسهما. يسمعان.

- ابق مكانك!

قالها خالد مخاطباً شقيقه أضاف:

- دقائق.. وأكون عندك!

أعاد السماعة الى مكانها. قال مخبرا أمه وعمه:

- عدنان موجود في احد بيوت بيان.

الفرح يأخذ بوجه أمه. التقط خالد مفتاح سيارته.

- سأذهب إليه!

فوجئ بعمه يقول بمنحى قرار لا يقبل الرفض:

- أنا معك!

❖ ❖ ❖

ببـــادرة منه أصر صاحـــب المنزل على عدنـــان إن يجلس في الديوانيـــة، ريثما يصل من يصطحبه معه.. جـــاءه بكأس من الماء تجرعه عدنان بسرعة، ليسأله بوازع أبوة:

- شاي؟!

اعتذر عدنان بلطف، نظر لساعته، قال:

- أخي على وشك الوصول ..

أضاف بصيغة إخبارية :

- البيت قريب.. في مشرف.

أمّن الأخر بإيماءة من رأسه. فكر لثانيتين. قال مستميحاً :

«عن إذنك دقيقة!»

اختفى بعدها ليعود حاملاً دشداشة. أشار لزى عدنان قال:

- من اجل الحيطة.. اخلع ثيابك العسكرية..

دفع لعدنان بالدشداشة. تابع.

- إلبس هذه الدشداشة !

لحظة وصول أخيه خالد وعمه لغرض اصطحابه شـــد عدنان على يـــد صاحب المنزل مودعـــاً كانوا واقفين أمام بوابة الســـور. دوي القصف المدفعي، إنفجارات القذائف تســـمع قادمة مما وراء الأفق.

«يبدو أنهم انتهوا من أمر قصر بيان»

سارر عدنان نفسه، علّهُ أن يقول لمضيفه:

- تركت أمانة هنا .. سأعود لأخذها!

مضيفه فهم قصده. أجاب مبتسما بدالّة التواطؤ:

- الأرض التي هي خارج سور بيتي... ملك للدولة.

فكّر عدنان أن يعقب بمنحى اشتراط يتضمن مفارقة:

«فيما لو بقيت دولة!»

ولم يفعل.

❖ ❖ ❖

وهم يركبون السيارة التفت إليه أخوه خالد متسائلاً:

- ماذا تعني.. انك تركت أمانة؟!

أجاب عدنان :

- بندقيتي الذاتية.

عاد أخوه خالد يسأله بسؤال مستثار:

- أين أخفيتها؟!

أومأ عدنان برأسه صوب حرش الياسمين، قال:

- هناك.. وسط الاغصان.

بادر أخوه فتح بابه. ترجل. ردد عدنان كلمته محذرا :

- خالد!!

استدرك:

-بإمكاننا العودة الى هنا ليلاً.. كي نأخذ..

قاطعه خالد كمن حسم أمره:

- ما أدراك ما الذي يحدث من الآن حتى الليل؟!

عدنان لم يجد ما يرد به في حينه. الخبرة التي عاشـها لدى إخلائهم.. هو ورفاقه شـاحنتهم، والأخرى عند إخلائهم منشـاة قصر بيان.. سمع أخاه يستطرد مؤكدا :

-الطريق الى مشرف لا تزال خالية من جنودهم..

الحدث الصدمة.. مطلوب منك إن تستوعب الفكرة:

«أنت بلد تحت الاحتلال»

العسكر الذي يحتلّك يتحدث لغتك العربية».. وإن بلكنة مغايرة، لكنه - في الوقت نفسه - لا يتوانى عن قتلك.

عدنان. وأخوه خالد يجهلان عدد الضحايا الذين استشـهدوا من مواطنيهم الكويتيين في اليوم الأول للاحتلال..

فـي اليوم الثاني هناك ضحايا آخرون.. في اليوم الثالث خرج الكويتيون الى الشـوارع يتظاهرون- سـلمياً - معلنين احتجاجهم إزاء ما يحدث، مؤكدين تمسكهم بشرعية نظامهم ، حاملين معهم أعلامـا كويتية، وصـورا للأمير وولي العهـد.. تصدّت لهم قوات الاحتـلال .. ردّت على الهتافات الجماهيرية بالمدافع الرشاشـة، تساقط العشرات رويت الأرض الكويتية بدماء بناتها وأبنائها .

«الحرية لها مقابلها الباهظ»

يأتيك من ينزع عنك صفتك.

«أنت محافظة ملحقة»

فان حاججته كيف؟! .. أعلنك عدوا يجب قتله.

ليســت شريعة غاب حسب.. ليست احتلالاً حسب.. أنت إزاء من ينكر عليك خاصيتك ككائن بشري. يستهين بإنسانيتك.

الهــدر أو الغــدر أو الحط من القدر.. وحتى تجد شــيئا من توازنك الداخلي تجاه حيوية وجودك لابد لك أن تتوســل ذريعة ما تحقق جانباً- ولو بدا صغيراً - من رد اعتبارك تجاه هويتك.

«الوطن مسئولية انتماء تتطرأ - من ثم - بحدود جغرافية»

فعل نضالي أول بدأه الشقيقان - عدنان/خالد- شاركا شبّاناً كويتيين آخرين كتابة المنشــورات المناهضة للاحتلال.. طباعتها.. استنساخها.. توزيعها.

ركزت هذه المنشــورات - الى جانب كشــف حقيقة المحتل - علــى حث المواطنــين لأن يتمســكوا بعصيانهم المدنــي ومواصلته.. حتى التحرير المنجز، مع تبصيرهم بكيفية إدارتهم شــئونهم المعاشية اليوميــة بين بعضهم البعض - رغم الغياب الوقتي للحكومة الكويتية الشــرعية، والتعامل مع العدو وكأنه سلطة متطفلة طارئة.. لابد لها من أن تبقى معطلة.

الأيام وهي تتوالى ببطء شــديد... العالم - في الخارج - يكتم أنفاســه. بانتظار بادرة تنهي الأزمة. الحال - في الداخل- تزداد

سـوءاً .الاحتلال وقد عقد عزمه على البقـاء الى ما لا نهاية، بما يتوجّـب تعزيز الفعل النضالي الأول بثانٍ يتناسـب مع مضاعفات الظروف الأخذة سمة الديمومة.

«مقاومة مسلحة»

الفكرة تعتمل لدى الشقيقين تبدأ فعلهما الضاغط عليهما.

❖ ❖ ❖

للعلم.. لا غير ...

المقاومة الكويتية المسلحة بدأت منذ الساعات الأولى من اليوم الأول للاحتلال اتخذت طابع المبادرات الفردية.. اقتناص الفرصة. القيام بعمليات قنص. ومهاجمة نقاط السيطرة (التفتيش) إطلاق النار على آليات عسكرية، التربّص لحفنة جنود ...

قبل انصرام أسبوع من تاريخه تداعت قيادات كويتية في الداخل اتصلت ببعضها بعضاً مهّدت للقاءات اتخذت طابع السرية. شكّلت قيادة تتولى لم شمل المقاومين. تنظيمهم في خلايا عنقودية، على نمط المقاومة الفرنسـية خلال سـنوات الاحتلال النازي. اعتماد نهج السرية المطلقة. التعويض عن الأسماء الشخصية بأسماء أو ألقاب حركية درءاً لأخطار الانكشاف والتقليل من حجم التضحية عند تعرّض الحركة لضربة مفاجئة.

تنظيم المقاومة عبر فترات زمنية قياسية- ينمو، يتمدد يشمل مناطق الكويت كافة.

الكويتيون «عيال قرية».. يعرفون بعضهم بعضاً

«العلاقـات العائليـة. صـلات القرابة زمـالات العمل، رفقة الديوانية، عضوية النوادي الرياضية.. عضوية الجمعيات التعاونية، الجيرة السكة، الفريج»..

لم يجد أي من الشـقيقين عدنان وخالد صعوبة في الالتحاق بإحدى مجموعات المقاومة ليتحقق لهما فعلهما القتالي .

❖ ❖ ❖

بدء مشاركة الأخوين في مهمات قتالية يجري تنفيذها استنادا الى خطط عسكرية مدروسة مسبقاً، ليصار الاستفادة من خبرات عدنان جراء عمله في مصافي البتـرول لإعداد المتفجرات. يبرع فيها بمساعدة أخيه خالد .

الشـقيقان مساهماتهما القتالية ضمن مجموعة المقاومة التي التحقا بها، ولم يترددا - خلال أوقات الفراغ.. بين عملية وأخرى - عن المشاركة في أعمال مقاومة إضافية.. حراسة حيّهما السكني.. توفير المواد الغذائية والمستلزمات الحياتية لعائلات الجوار..

❖ ❖ ❖

كلمـا زاد النشـاط الإبداعي المقـاوم للإنسـان الكويتي أيام الاحتلال زادت احتمالات الخطر المحدق به.

جنـود الاحتلال يتواجـدون عند كل زاوية، وفي كل سـاحة. يعايشون الكويتيين حياتهم عن كثب.

-أمر مجيئنا الى الكويت مفروض علينا.

يرددونها أحيانا - على مسامع هذا الكويتي أو ذاك، بمحاولة لإثبات حسن النية، أو إخلاء الطرف تجاه مسئولية مزمعة.

في الوقت ذاته هم مسئولون.. يراقبون، يترصدون، يحدسون، يستنتجون، ولا يتوانون عن الفتك بك إذا قرّ في وعيهم انك تمثّل نشاطا معادياً - قائماً أو محتملاً - يستهدف وجودهم.

بعد مرور سبعة أسابيع على الاحتلال.. عند الساعة الخامسة من فجر يوم الأربعاء ٩/١٩ /١٩٩٠.. طوّقت قوة عسكرية منهم منزل الأخوين عدنان وخالد قبل أن يبادر بعض أفرادها إلى اقتحامه. يواجهون الأم يشهر أحدهم سلاحه أمام صدرها. يصرخ في وجهها: - أين عدنان وخالد؟!

مصادفة أن يكون الاثنان متواجدين - وقتها - في المنزل..

«الاقتحام ليس اعتباطاً .. الرصد يعني التأكد»

القوة المداهمة تعتقل الشقيقين . تجري تفتيشا شاملاً ودقيقاً بحثاً عن أسلحة أو منشورات.

«الحيطة والحذر صفتان ملازمتان لشخصية الإنسان المقاوم»

العدو - مع بحثه الدقيق داخل المنزل - لم يعثر على أثر لأسلحة أو منشورات.

رغم هذا..

- أنتما رهن الاعتقال!

الاعتراض من عدمه.

قيل أن عنصراً من استخباراتهم عثر على قصاصة ورق مكتوبة بلغة الشفرة في سيارة عيسى العبيدلي (وهو من رواد ديوانية الضامر) عند نقطة سيطرة، مما ادى الى اعتقاله على الفور، والمسارعة الى مداهمة منزله، حيث عثرت القوة المداهمة على (مفكرة) دفتر يحتوي على أسماء وأرقام هواتف.. عدنان وخالد من بينها، مما قادهم الى منزل الاثنين.

قيل أيضا استضاف عدنان في ديوانيته - منذ الأيام الأولى للاحتلال - أحد جنودهم آثر الهروب من جيشهم إثر اجتياحهم للكويت.

«يقظة ضمير»

هذا الجندي وقد أكرم الأخوان - عدنان وخالد - وقادته توفرت له سانحة متابعة لما يدور بين رواد الديوانية من طرف خفي، ليفاجئوا باختفائه دون سابق إنذار.

« يقظة ضمير مغايرة» الاستنتاج الوارد في الذهن.. « احتمال أن يكون ذلك الجندي عميلاً مدسوساً ابلغ مسئوليه بمعلومات محددة»

أخيراً قيل: عيسى العبيدلي أكّد بما لا يدع مجالا للشك- إن الورقة الشفرة هي السبب، وان لا علاقة للجندي المستجير بما حدث..

بعيـدا عن كل الـذي قيـل .. الحقيقة المؤكدة: اسـتخبارات الاحتلال كانت على يقين راسخاً يفيد أن الأخوين عضوان فاعلان نشطان في المقاومة الكويتية، ولابد - بالتالي من استبقائهما قيد الاعتقال، لغرض انتزاع معلومات مهمة، خاصة بأشـكال الارتباط التنظيمي.. كشـف خلايا أخرى .. ثم أخرى .. وصولا الى القيادة العليا .. المنظمة لنشاطات المقاومة على مستوى البلد ككل.

انتزاع المعلومات من معتقلين مؤمنين بقضيتهم يعني إخضاعهم لشتى صنوف التعذيب الجسدي والنفسي.

ستة عشر يوما عانى الاخوان خلالهما ما يخطر وما لا يخطر على البال .. الضرب المبرح الحرمان من النوم، إعدام رفاق آخرين على مسـمع منهمـا. التعليق من الأرجل.. تهشـيم عظام القفص الصدري.. ربط الرسغين الى تيار كهربائي صاعق.

- اعترف.. يطلق سراحك فوراً !

جملة سـمعاها عشـرات المرات لكنهما يـدركان في داخلهما أن إفشـاء السـر خيانة لقضية الوطن. ويعلمان أن بدء الإفصاح يلزمهما بالاستمرار الى ما لانهاية.. ريثما إنهيار الوظائف الحيوية للجسم..

الموت تحت التعذيب.

- العديـد من رفاقكم أطلقنا سـراحهم بعـد أن أجابوا على أسئلتنا..

الأسئلة تتمحور حول:

- من هم رفاقك؟! .. أسماء وعناوين؟!

- مصادر السلاح والعتاد؟! أسماء.. عناوين؟!

- حدد اختيارك.. تتكلّم أو تموت!

عدنان وخالد اســتمدّا قدرتهما على الصمود أمام التعذيب .. الإيمــان بعدالة القضية، وحلم يراودهما .. أن يجيء تحرير الوطن فيكون تحريرهما

❖ ❖ ❖

إمعانا في التعسف، وتنفيذا لمقولة درج قــادة النظام العراقي على الأخذ بهما .. «عبرة لمن اعتبر» تولّى احد رجال استخباراتهم الاتصال هاتفياً بمنزل الضامر.. خبر عائلة الشقيقين:

- تقرر إطلاق سراح ولديكما اليوم..

- كان ذلــك صبيحة يوم الرابع من شــهر أكتوبــر.. حالة من الفرح والاحتفاء تعم أفراد العائلة كافة «الشقيقان عائدان»

تابع رجلهم قائلاً بصيغة الأمر قبل أن ينهي مكالمته تلك:

- سارعوا بإحضار ملابس لهما!

❖ ❖ ❖

بينما كانــت عائلة الضامر تجهز ثيابا نظيفة لولديهما عدنان وخالد.. جرى استدعاء الاثنين لمكتب الضابط المسئول .

- كلام أخير!

قالهـا الضابط كمن نفـذ صبره. أضاف منقّـلاً نظراته بين وجهي الأخوين:

- اختارا واحد من أمرين..

صمت لثلاث ثوان استطراد:

- الاعتراف.. أو الموت!

تطلّـع الاخوان فـي بعضهما البعض. تصـدّى خالد للإجابة متسائلاً:

- الاعتراف بماذا..

قاطعه الضابط غاضبا.

- أفهم من إصراركما على الإنكار أنكما اخترتما الموت!

مد يده الى ورقة إمامه كتب فيها وهو يواصل بغضب أشد:

- ستعدمان رمياً بالرصاص..

استدرك وهو يلقي نظرة على ساعته:

- بعد ساعة.. أمام باب منزلكما..

ضغط على زر جرس المكتب أضاف:

- عبرة لمن اعتبر!

❖ ❖ ❖

أربعة من الجنود يقتادون الأخوين خارج مكتب الضابط يداهما مقيدتان. تطلع عدنان في وجه خالد همس له بحزن صاف:

- إن كان لابد من الشهادة..

أبقى جملته معلقة برهة. أضاف بيقين راض:

مرحبا بها..

بصمات خالدة

العطـــاء، بدرجاته المختلفـــة، قيمة إنســـانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنهـــا تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنهـــا تجســـد الإيمان المطلـــق بأن الحيـــاة الحقيقية هي الحيـــاة الكريمة وهـــذه تستحق التضحيـــة بأثمن مـــا يملكه الإنسان وهو النفســـ... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويـــت للغزو.. لقد توقـــف الزمن عندها ليشـــهد هذه الملحمة الإنســـانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يســـتهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشـــأن الإنســـان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضـــحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضـــمن سلســـلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشـــهيد عن طريق تخليـــد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.